جون ماري جوستاف لوكليزيو: الكتابة عن المهمشين

جون . كزافيي ريدون

ترجمة وتقديم:
إدريس الخضراوي

■ منذ أن كتب جان ماري لوكليزيو ((J.M.Le ClÇzio روايته: المحضر ((Le Procãs-verbal التي نال بها جائزة غونودو سنة 1963، وهو يلفت الأنظار إليه باعتباره كاتبا طليعيا، يصدر عن تجربة بالغة الحيوية والقدرة على التجدد. تتميز الكتابة عنده بالتباس خصب يتولد من التحام التخييل بفضاءات متنوعة ومميزة، وأساطير ومحكيات يستمدها الكاتب من أسفاره وترحالاته عبر العالم. وقد أشار النقاد في معرض تناولهم للتجربة السردية لـ لوكليزيو، إلى صعوبة وضعه ضمن تيار أو مذهب معين في الكتابة. فهو يبدو كما لو أنه يختط لنفسه مسارا مميزا، قد يغري ببساطته، لكنه سرعان ما يتكشف للقارئ عن عمق عصي على السبر. ولأن لوكليزيو يستدمج في نصوصه أكثر من تقنية: من الروبورتاج إلى المعاينة الشخصية، والتحليل الإثنوغرافي، فإن تجربته تبدو كما لو أنها شهادة على ما يتهدد الإنسان من انسحاق ونسيان في عالم تغلب عليه الرؤية الأحادية التي لا تدرك سوى نفسها. لهذا نجد نصوص لوكليزيو تتصدى باقتدار مدهش لتيمات متنوعة كـ الجنون والطفولة والترحال والغربة وتجربة الاقتلاع من الجذور التي يتعرض لها المهاجرون في مناطق مختلفة من العالم. والحق أن لوكليزيو اكتسب شهرة واسعة من خلال طريقته اللماحة في التعامل مع هذه التيمات الصعبة، حيث تكشف النصوص عن بيانية تكسبها تألقا جليا وقوة تكلمية ((Force illocutoire من هذا المنطلق يأخذ الأدب عند لوكليزيو روحا مقاومة وجدالية، فهو لا يكف عن التصدي للوعي الثقافي والسياسي المسكون بالهيمنة، ساعيا إلى تأزيم الحداثة التي تعمل على تسريبه، كاشفا محدودية رؤيتها وأنساقها التقويمية. ومن أعماله التي حظيت باستقبال واسع في أوساط القراء ،يمكن أن نذكر: كتاب الهروب، السمكة الذهبية، الحجر الصحي، الحمّى، الصحراء، العمالقة، الباحث عن الذهب، الربيع وفصول أخرى.. بالإضافة إلى كتاب: الحلم المكسيكي...

وهذه الدراسة التي نقدم ترجمتها، والتي أنجزها الناقد جون كزافيي ريدون (-Jean Xavier Ridon)وهو أستاذ بجامعة نوتينكهام، إنما تكتسي أهميتها من كونها تضيء جوانب مختلفة من تجربة لوكليزيو المميزة، وهي تكتب معاناة المهمشين والمنسيين في عالم يدعي الحداثة ويعد بأحلام لا وجود لها. ولوكليزيو لا يلامس هذه الحداثة في المدن التي ينسحق الإنسان وسط ضجيجها، وإنما يكتشفها في المغايرة والتميز والاختلاف، وفي أصوات الحضارات القادمة من بعيد والتي تجهد الحداثة في إقبارها وإسكاتها. لذلك نجده في نصوصه لا يتورع عن دعوتنا مليا إلى التفكير في السبل التي تتيح لنا، ليس فقط، استعادة هذه الحضارات وإنما كذلك الإنصات لما فيها من أصالة وجمال وعمق. هكذا تغدو الرواية عند لوكليزيو شكلا من البحث الذي يستقصي دون هوادة ذاكرة منسية. والكاتب حين يشخصها يجعلنا نتذوق معه من جديد سحر الأمكنة التي احتضنت جزءا من تاريخه الشخصي. وجدير بالذكر أن لوكليزيو كاتب يجسد في أعماله العلاقة الوطيدة بين الأدب والحياة، وكأننا به لا يتصور الأجناس الأدبية إلا بوصفها مقولة للتصنيف فقط، حيث النصوص، ومهما اختلفت أجناسها، يمكن أن تقرأ في المقام الأول باعتبارها سيرة للذات في رحلتها الصعبة بحثا عما تريد أن تكونه. إنه مثل الرسام الذي أبدع عبر مسار طويل كثيرا من اللوحات التي تعرض لوجوه وأمكنة ومناظر مختلفة: رمال وجبال وأودية ومدن، ليكتشف في الأخير أنه لم يرسم في الواقع سوى صورته. ذلك هو جون ماري لوكليزيو.. الكاتب المتعدد الذي يستولد من الهامش جمالا يفضح قبح الحضارة الغربية ومركزيتها.

نص الترجمة

تحتفي كتب الروائي جون ماري لوكليزيو بكثير من الأصوات التي تخالها مقصية من دائرة الحداثة. في هذه الكتب نكتشف مؤشرات عديدة تضيء ذلك الاختلال في مفهوم الهوية الجماعية الذي يجعل من الفرد الشاب والمنتج نموذجا كونيا للوجود والتحقق. يستثمر لوكليزيو هذا الجزء المهمش من تاريخنا حيث الهويات التي تمثل أقلية مدعوة لأن تصمت. فمنذ حضارة الهنود الحمر التي نقل إلينا كلامها الأخير في كتابه: la relation de michoan حتى هذه الشخصيات المتخيلة كـ ليلى في روايته الأخيرة «السمكة الذهبية « Poisson d'o» والمنتمية إلى هذه الشريحة من المهاجرين ،فإن الكتابة عند لوكليزيو تتطلع إلى تمزيق هذه المظاهر من الصمت. وبعيدا عن اعتبار اهتمام لوكليزيو بالمهمشين، نوعا من التوجه إلى التعبير عن المظاهر الأكثر إثارة للعطف في الحياة الاجتماعية، فإن حضور هذه الكائنات يعني بالنسبة له بحثا عن التميز وحاجة ملحة للانفتاح. واستنادا إلى هذا الجنوح إلى اللقاء بالآخر، والإنصات إلى مختلف أشكال التفاعل والتواصل ، ينبغي أن نفكر في الخطوة التي يقدم عليها لوكليزيو. ولذلك نجد منذ البداية في أعماله، هذا الإلحاح على العبور، حيث تذهب نظرة الكاتب باتجاه موضع آخر.

ذلك الموضع الذي يمكن تحديده باعتباره فضاء جغرافيا. غير أن الكاتب يطرح من خلال ذلك كله، سؤاله حول وضعه بالنسبة للعالم. تلك هي مختلف أشكال الحراك التي تحفل بها أعمال (لوكليزيو). ولا شك أنه بمجرد ما نتمكن من إضاءتها، سنتيح لأنفسنا فهما أعمق لوضع هؤلاء المهمشين في أعمال الكاتب.

بداية، من السهل أن نؤكد أننا بإزاء أعمال (لوكليزيو) نعيش سفرا متعددا. فشخصيات إبداعه مأخوذة في شرك حراك جغرافي ينقلها عبر أمكنة مختلفة: أمريكا، أفريقيا، جزيرة موريس ثم فرنسا، بالإضافة إلى فضاءات أخرى تنحدر من صلب المتخيل، وتؤدي دورا أساسيا في تشكيل أعماله. وهذه الأشكال من الترحال يمكن أن تكون ناجمة عن إحساس بضرورة ترك هذا الفضاء المعروف لدى الجميع. بهذا المعنى فالترحال عند (لوكليزيو) قبل أن يكون فضاء للاكتشاف، فإنه يتأسس على مبدأ التحرر. يغدو فعل الذهاب أكثر أهمية من الوصول إلى المقصد، تماما كما لو أن الأهمية إنما تكمن بعمق في هذا التنقل وليس في الإقامة في مكان محدد ومعروف. ذلك هو حال هذه الشخصية الغريبة التي يظل اسمها غامضا ومبهما: الشاب هوجان، الذي يبدو في كتاب الهروب ((Le livre des fuites مأخوذا في شرك حراك دائم ومستمر. لقد عبر عن أسباب ذهابه : «على هذا الشكل قرر أن يهرب، غادر بيته صباحا وسار باتجاه شوارع المدينة، حتى وصل إلى ساحة واسعة توجد بها أشجار». إننا هاهنا بعيدون عن السفر كفعل اكتشاف أو تنزه يتقصد مكانا محددا. ذلك أن السبب الوحيد الذي يحدو بالشاب هوجان إلى الذهاب إنما يكمن في هذا الاقتناع الأولي بالذهاب والانطلاق. ولذا نتعقب ظله وهو يتسلل عبر أمكنة متفرقة من العالم. من طوكيو إلى موسكو مرورا بنيويورك.

إن ما يبثه إلينا (لوكليزيو) من خلال كل ذلك ،هو هذا الشكل من الهيام والسفر من غير وجهة. ولكنه بالرغم من ذلك ليس بلا دلالة أو معنى. والحال أن هذا الهيام يأتي ليخلخل المعايير الموضعية التي نؤسس عليها هوياتنا. وفي كتاب «الهروب» يغدو مستحيلا التعرف على مسقط رأس الشاب هوجان. فهذا المكان المثبت في أوراق تعريفنا، يفترض أنه الفضاء الموضوعي لانتمائنا، بيد أن ما يبلوره هذا الهيام ويحققه هو فضاء اللاإنتماء. ذلك الفضاء الذي يشكل خطرا على كل سلطة كليانية وعلى كل هوية منغلقة وثابتة. فهذا أو تلك اللذان لا يعرف مكان انتسابهما، لا يمكن أن يكونا إلا مهمشين. وهذا الوضع ينطبق على المشردين (المهاجرين) والأجانب، الذين يموضعون دائما خارج القانون. وبالنسبة لـ لوكلوزيو فنزوح هؤلاء الرحل الذين يؤسسون وجودهم على مبدأ الحراك، يتسم بكثير من المعنى، والدلالة على الحرية. إنه الوضع الأكثر مثالية للانفلات، بالمقارنة مع هذه الخطابات الآمرة التي تحف بنا من كل جانب، وهو يدعونا إلى أن نتحرر منها في كتابه: العمالقة (Les GÇants)، عندما يقول: «لقد صار الإنسان الموضوع الأوحد للدراسة من قبل الإنسان. تحرروا، كفّوا عن أن تكونوا موضوعا للدراسة.. فلا أحد يملك هذا الامتياز».

إن الترحال بهذا المعنى هو حلم بفضاء يمكن أن نتخلص فيه من تحديدات الآخرين وننفلت منهم. لهذا السبب نجد أحيانا كثيرة في هذه النصوص، شخصيات عجائبية، وقد نجد أطفالا لا نعرف عنهم شيئا، كالطفل في كتاب «مجهول فوق الأرض» والطفل بوجو في كتاب «العمالقة» أو زبيدة في قصة «الزمن لا يمر″، حيث يقول لنا الراوي : «لم يسبق لي أبدا أن حدست من أين أتت. كانت قد أخفت كل ملامحها منذ البداية. وكل شيء فيها كان يظهر لي غريبا″. هؤلاء الأطفال يعطون انطباعا بأنهم لا يبرحون أمكنتهم، لكنهم رغم ذلك يشكلون جزءا من بعد الحركة، ذلك البعد الذي عوض أن يكون وثيق الصلة بمفهوم التنقل الجغرافي، فإنه ينبثق من غيابهم الأصلي. وعلى غرار الشاب هوجان، فنحن لا نعرف من أين قدموا. إنهم في حركة دائبة ومستمرة، تحسبهم قد انطلقوا من زمن مبكر. وحيث إنهم لا يرتبطون بمكان مرجعي محدد فهم كما لو أنهم لم يأتوا من أي مكان. جامدون هؤلاء الأطفال، لكن نظراتهم تحمل تحليلا مفصلا لقضايا مدننا الحديثة. على هذا الشكل يقضي بوجو الأخرس أيامه في موقف السيارات يراقب أقرانه. إن حضوره يجسد موقف مقاومة لهيمنة وسلطة هذه الخطابات التجارية والإشهارية التي تحاصره من كل جانب. تلك الخطابات التي يعتبرها لوكليزيو إحدى مميزات سادة الكلام. يؤدي بوجو دور الأنثروبولوجي عند البدائيين. والحق ليس البدائيون سوى نحن.

إن الطفولة المترحلة تمثل بالنسبة لـ لوكلوزيو فضاء أكثر تميزا. فمن خلال المسافة التي تتيحها له، يستطيع أن يبلور تصورا نقديا حول عالمنا. وهذه الشخصيات توجد على هامش مدننا. فهي لا تشغل فضاء مركزيا يجعلها محط نظر الكل، لكنها تقيم بمنازل مهجورة، وبأمكنة لا يستقر بها أحد. يصعب هنا أن لا نتذكر آدم بولو في «المحضر″ ،وهي الرواية الأولى التي كتبها لوكليزيو. لقد لجأ إلى فيلا غير مأهولة مؤقتا بإحدى ضواحي مدينة نيس الفرنسية. في هذا النص تتشكل ملامح أول شخصية عند لوكليزيو، وهي تحاول الانفلات من هذا العالم. وشيئا فشيئا تدنو هذه الشخصية من الجنون بوصفه فضاء آخر للتهميش. فبعد صيف من الترحال يجد آدم بولو نفسه في مستشفى المجانين. لقد جرّب الترحال الإرادي، والآن يوجد في فضاء آخر، حيث يمكنه أن يلتقي ذلك الآخر في ثقافتنا. أقصد الجنون باعتباره الآخر الذي ظل خطاب التحليل النفسي بشروحاته وتحليلاته يلقي عليه ظلالا من الصمت لزمن طويل. إن الترحال هنا يحمل المعنى ونقيضه. فإذا كان يمثل الفضاء الأمثل لنمط من الاختلاف ينبثق من الداخل. اختلاف عن ذلك الآخر الذي يسكن فضاءاتنا المعتادة والمألوفة، فإنه أيضا أي الترحال، يمكن أن يقود إلى الضياع وإلى كل أشكال الجنون.

إن تنقل شخصيات لوكليزيو عبر أمكنة مختلفة، ليس دائما، نتيجة لقرار يتخذونه بضرورة الهروب والانعتاق من هذا العالم الحميمي والمألوف لديهم.. وغالبا نجد الكاتب لوكليزيو يقوم بابتداع شخوص مرغمة على الابتعاد عن أرضها الأصلية. فهي ضحية للقوى التاريخية الاقتصادية أو السياسية الحاكمة. ويمثل اغتراب إستر نموذجا في هذا السياق. ولأنها أي إستر، يهودية، فهي مرغمة على تغيير هويتها، ومن ثم الهروب من فرنسا إلى إيطاليا، من تقدم زحف الجيوش الألمانية، إبان الحرب العالمية الثانية. في هذه الظروف ستلتقي نجمة وهي شابة فلسطينية، وجدت هي الأخرى نفسها مرغمة على ترك أرضها بعد أن سجنتها إسرائيل بمخيم نور الشمس. إن فعل المنفى بالنسبة لنجمة ينعكس في تجربة (إستر). ورغم أنهما ينتميان إلى أمتين مختلفتين إلا أن قدرهما يبدو متشابها.

وبالنسبة لهؤلاء الأشخاص الذين يعيشون تجربة المنفى، فإن الحركة التي تحدد وجودهم، يعيشونها كنوع من البين والبعاد عن الفضاء الذي يحدد هويتهم. إنه فضاء ألم وحرقة. ليس التنقل مبدأ للحرية، ولكنه تعبير عن ذلك القدر المحتوم الذي يتجاوز مستطاع الشخصيات عند لوكليزيو. وها هي ليلى التي تتكفل بمهمة السرد في رواية : «السمكة الذهبية» تستهل القصة بالحديث عن ذلك الاختطاف الأولي الذي تعرضت له منذ زمن مبكر. فتم إبعادها عن ثقافتها الأصلية التي تغذت عليها في جنوب المغرب. تقول ليلى: «جئت من الجنوب. من بعيد، وربما من أرض لم توجد بعد. كان عمري سبع سنوات حينما تعرضت للاختطاف. وبالنسبة لي لا شيء كان موجودا من قبل، سوى هذا الطريق المغبر، والطائر الأسود، والحقيبة التي كنت أحملها». هذه الظروف ستجبر ليلى على اللقاء بهذا السيل من المهاجرين الذين غادروا أوطانهم من أجل أن يعيشوا قدرهم في أوروبا وأمريكا. إن هامشيتها ليست النموذج الأكثر دلالة عن هذا الانفصال عن مسقط الرأس، ولكنها تعبير عن اللامساواة التي حملتها إلى فضاء يرفضها ويستبعدها. يتعلق الأمر بالنسبة لليلى بإيجاد استراتيجيات مقاومة يمكن أن يعتمد عليها ذلك المهاجر غير المتوفر على أوراق الإقامة، المنذور لأن يعبر الحدود بطريقة غير قانونية، وأن يشتغل في الظل ويجري استغلاله بطريقة بشعة. إن ليلى هي جزء من هؤلاء المهمشين الذين يحفّون بنا. فنحن لا نعرف عنهم سوى هذه الحقائق والوقائع التي ترغب وسائل الإعلام في تزويدنا بها. ولأن جان ماري لوكليزيو يبلور تخييله، بناء على وجهات نظر هؤلاء المهاجرين، فإنه يسلط كثيرا من الضوء على هذا الفضاء الاستبعادي الذي يتواجدون فيه. بحيث يجعله قريبا من قرائه وفي متناولهم. إن ما يكتسي أهمية قصوى ها هنا، ليس هو الترحال الذي تعيشه هذه الشخصيات، وإنما هذا الموقف من خطاب قانوني وأمني يجهد في وضع تحديد معين لـ اللاشرعية والمخالفة. وهذا الموقف من جانب لوكليزيو، المنحاز لهؤلاء المهمشين والمبعدين هو في جانب مهم منه، ينم عن خيار سياسي يتغيا من خلاله التنديد بهذه الأوضاع الإنسانية غير المقبولة، كما يطمح إلى تأسيس حوار حول هذه الوضعية، بحيث ينتشلها من الصمت الذي يحيط بها. وليس عبثا أن يكون كتاب «المعذبون في الأرض « 2» لـ فرانس فانون،

غلاف «المحضر»

هو المفضل عند ليلى. ففي هذا الكتاب الرائد، يتخذ فانون موقفا من النزعة الاستعمارية ومن الاحتلال الفرنسي للجزائر. هذا الاحتجاج الصارخ واللامشروط على هذا الشكل من الاستغلال غير المقبول، يعطي لليلى دفعة قوية، ويسندها في كفاحها ونضالها من أجل أن تجترح لنفسها موقعا يلائمها في هذا العالم الذي يرفضها ويقصيها.

تغدو قضية الأرض الأصلية بالنسبة لهؤلاء المهاجرين، أساسية ومركزية. فالأمر لا يتعلق بالتخلص من هذا العالم، ولكنه يتصل بمكان دال على هوية ضائعة ومسلوبة. تلك الهوية التي يرجو هؤلاء الناس معانقتها والعودة إليها. غير أن مسألة الأصل ليست محددة بدقة. إنها فضاء يطفح بغياب ينبغي ملؤه. ولذا فالبحث عن الأصل، يبدو شديد الصلة بذلك الحلم بفضاء يمكن أن تحقق فيه الشخصيات هويتها وتطمئن إليه. وبعد أن سافرت ليلى إلى فرنسا والولايات المتحدة الأمريكية، ستعود إلى مسقط رأسها، الذي لا تعرف عنه شيئا. «لم أعرف أبدا لماذا كنت هنا، أتابع حركة الناس دون أن أفهم شيئا. فأنا لا أبحث عن ذكريات ولا أتطلع إلى رعشة الحنين أو العودة إلى مسقط الرأس مع أني لا أمتلكه». إن ما تكتشفه ليلى ليس فضاء للانتماء يسمح لها بنسج خيوط هوية محددة، ولكنه فضاء تعلق وود وحب. لأن الانتماء يفترض دائما وجود رابطة محددة، ونمط من التملك بين طرفين. أن تنتمي لفضاء ما، لا يعني فقط أن تخضع له ولكن أيضا أن تكون جزءا منه. في حين إن التعلق بفضاء ما، يظل مسألة وجدانية. وهذا ما ينجم عنه شكل من التفاوت أو الاختلال في هذه العلاقة، ومن ثم يظل التعلق غير نهائي. إنه فضاء لهوية متغيرة ومتبدلة. وبالنسبة لليلى فإن هذا يعني لها أن تظل لا مبالية بهذا الفضاء، غير أنها تعترف به كجزء لا يتجزأ من تاريخها. إنه الحبل الذي تتمسك به من أجل بلورة قصة وجودها. تلك هي النقطة الأشد غموضا من حياتها، لكنها عرفت كيف تستثمرها في تشييد هويتها.

تمثل الهوية بوصفها موقعا للغياب في نصوص لوكليزيو مبدأ للسرد. ففي رواية «السمكة الذهبية «تلتقي ليلى بـ (الحاج مفوب) الذي نفي بعيدا عن بلده السينغال، وسيروي لها قصته. لكن ليلى وهي تنصت إليه ستجد نفسها شيئا فشيئا قريبة من هذه الحكاية، تملكتها إلى الحد الذي اعتبرتها فيه حكايتها الخاصة. يخيل إليها أنها أصبحت الحفيدة التي فقدها». ربما أنا التي صرت مماثلة لها.

من كثرة ما كنت أجلس قرب جدها أصغي إليه، وهو يحكي لها ما عاشه هناك على ضفة النهر». لا يتسم المكان الأصلي، باعتباره فضاء للغياب، بالثبات. إنه يصير موقعا لكلام يتطلب منا أن نتقاسمه. ولذا فإنه هو الآخر يتموضع داخل بعد الحركة ذاتها. وبهذا المعنى فإن الأصل يصبح هو الآخر مبدأ للترحال والتنقل. وما يسعى لوكليزيو لتحديده هنا، هو حالة ما هو هامشي، بوصفه موقعا لهوية متنقلة، تجد في السرد أداة أساسية للتعريف بها وتسليط الضوء عليها.

من هذا المنظور ينبغي أن يُقرأ عشق لوكليزيو للحضارات القديمة في أمريكا الوسطى، التي دُمرت وأُبيدت. فهذه الحضارات تمثل موقعا حقيقيا للغياب، لأنها اكتسحت من قبل الغزاة الإسبان، الذين لم يكن يهمهم سوى البحث عن الذهب. فلم يكترثوا إلا قليلا بما يمكن أن يتعلموه منها. وفي كتاب : «الحلم المكسيكي″ يكتب لوكليزيو فيقول: «الصمت هائل ومرعب، لقد التهم عالم الهنود ما بين (1492 ـ 1550)، وزج به في الظل».

إن وضعية التهميش التي تعيشها هذه الحضارات، التي تم إسكاتها، تتسم بالمطلقية. فقد ظلت مفصولة عنّا لقرون طويلة من النسيان، ولحسن الحظ فإن أفرادا مثل: (بيرباردينو دوساحاكون)، ورغم أنهم ساهموا في هذا التدمير الذي طال هذه الحضارات. فإنهم ألحوا على ضرورة الحفاظ على كلام يشهد على رؤية للعالم مغايرة لرؤية الغربيين. بل إن ساحاكون قد تحول إلى مؤول لما تبقى من آثار ثقافية مكسيكية وهو يحرر كتابه «التاريخ العام لإسبانيا الجديدة». عن هذا العمل يقول لوكليزيو : «في الحلم بالأصل، هناك دائما الرعب والحب والرأفة، وببحثه عن الجذور يكتشف ساحاكون، أصوله الخاصة. وهذا ما يشده إلى هذا العالم المؤثث بالأساطير، وبالجلال المنسي». ومن بين الكتب التي تشهد على هذا نذكر أيضا: (la relation de michoan,les prophÇties du chilam balam,le codex florentinus)وهذه الأعمال تحتل بالنسبة إلينا موقعا امتيازيا. إنها تؤشر على كلام أصلي يأتينا على شكل محكيات. كما أنها تعيد الاعتبار لشيء لم يعد موجودا، لكنه لا يزال يتحدث إلينا عبر الأساطير والمعتقدات، ومن ثم فهو جزء من متخيلنا. يقول لنا لوكليزيو: إن علينا أن نؤسس شكلا للحوار مع هذا العالم الذي ضاع. وبالنسبة له لا يتوقف ذلك فقط على ربط الجسور بتاريخ ما، وإنما بالتمسك بكل ما يربطنا بهذه الحضارات. وبهذا المعنى، يتبين أن لوكليزيو يحاور من خلال ما تبقى من الحضارات الأمريكو ـ هندية القديمة، جذوره وأصوله الخاصة.

لكن ماذا عساها تكون جذور لوكليزيو ؟ ألا تشكل جزءا من إمكانية، بل ضرورة إبداع هذه المحكيات ؟

يبلور لوكليزيو محكيات تتأسس على مواقع من تاريخه الخاص. وأفكر هنا تحديدا بـ : «الباحث عن الذهب «و «سفر إلى رودريغيز» و«الحجر الصحي»، التي تدور وقائعها حول جزيرة موريس، حيث تم في القرن الثامن عشر نفي الأسرة التي ينحدر منها لوكليزيو. وفي كل عمل من هذه الأعمال الثلاثة نصادف تشخيصا لفكرة البحث والتنقيب عن هوية، عن فضاء يعد أصلانيا. وفي رواية: الحجر الصحي (La Quarantaine) سيقرر البطل ليون أرشومبو العودة إلى جزيرة موريس، بعد أن أمضى شبابه في فرنسا. وستبدو له هذه الجزيرة كفردوس مفقود. إن ما سيكتشفه ليس سوى الوضع غير المقبول للمهاجرين الهنود المتوجهين إلى هذه الجزيرة. ولأنهم أتوا للعمل لجني قصب السكر، فإنهم صاروا كما لو أنهم عبيدا. إن حلم ليون بالأصل، يمتزج بتاريخ هذه الشعوب المهجرة التي يتقاسم معها القدر على أرض هذه الجزيرة، حيث وضعوا في محجر صحي بعدما تم اكتشاف حالة للكوليرا على متن السفينة التي كانت تقلهم إلى جزيرة موريس.

مرة أخرى يظهر الأصل متسما بالحركة واللاثبات، ليس فقط في الحلم الذي يراود ليون، وإنما أيضا في التاريخ المنسي لهؤلاء البشر الذين جرى نقلهم، ذلك التاريخ الذي يلاقي فيه، مرة أخرى، ذاكرته. وهذه الذاكرة المنسية هي ما يجهد لوكليزيو في أن يجعلنا نعيشها في روايته، حيث يقوم بخلقها من جديد اعتمادا على أبحاثه التي يجريها حول هذا المكان الذي ارتبط به عبر تاريخه الخاص والحميمي. وفي حوار أجرته معه (-Le nouvel observa teur).

***

(3) تساءل الصحافي عما إذا كانت تجربة لوكليزيو مع هنود باناما الحمر، هي التي قادته باتجاه «جذوره الخاصة «؟ فردّ لوكليزيو قائلا : «أشعر أنني في لا تناغم تام مع جذوري وأصولي. فأسرتي تفتتت وتجزأت. ولم أعد أعرف ما إذا كنت بروتانيا أو من شمال فرنسا أو من جزيرة موريس». لعل ما يقوله لوكليزيو هنا، وفي نصوصه كلها، مفاده أن لا أصل يوجد لذاته. وإنما يوجد الأصل في إطار المتخيل، ومن خلال هذه الروابط الجديدة التي نقيمها مع خطابات منسية، وموجودات هامشية. والهوية لا يمكن التعبير عنها بشكل أحادي ونهائي، لأنها هي الأخرى تخضع لمسار من التغير تبعا لأنماط الارتباط التي تكتشفها.

ولأن لوكليزيو رحال وكثير التنقل، فإنه يبدو كما لو أنه لم يشغل المكان نفسه. فمن المكسيك إلى المغرب، مرورا عبر مدينة نيس، يبدو لوكليزيو وهو يعيش وضعية قطيعة. تلك الوضعية التي امتدحها جيل دولوز ((Gilles Deleuzes وهو يحيل على حياة لوكليزيو قبل أن يتحدث لنا عن أسفاره الثابتة.

***

هكذا رغم المكانة التي نعطيها لـ لوكليزيو في عملية الإنتاج الأدبي بفرنسا، إلا أن وضعية القطيعة هذه تموضعه على هامش الفضاء الثقافي بفرنسا. أن تكون في الهامش لا يعني أنك منفصل عن هذا الفضاء. وإنما تتصل به انطلاقا من مبدأ الارتباط. فهذه الوضعية الهامشية هي التي تجعل لوكليزيو يحقق في نصوصه السردية ذلك الاقتراب من قضايا وأسئلة هؤلاء المهمشين في الفضاء الفرنسي. غير أن هذا الاقتراب يصعب التعبير عنه بمفهوم الهوية، وإنما انطلاقا مما يوفره مفهوم التفاوت.

المراجع :

Jean-Xavier ridon :Ecrire les mar-–1
ginalitÇs, in magazine
fevri- littÇraire,N362
.er1998,page,39
les damnes de la :Frantz fanon – 2
.terre ;Çditions Gallimard
Le nouvel observateur ,n1721,du – 3
30 octobre, au 5 novembre , pp, 54-
abÇcÇdaire de Gilles deleuze –4 55.
Çditions avec Claire Parnet ,video
Montparnasee1996. cette citation se
trouve a la lettre5 comme voyage.

إلحاقُ خوزستان

كتابة : مايك وِتْنِي

ترجمة وإعداد : سعدي يوسف

■ في أقلّ من أربعٍ وعشرين ساعةً، حققت إدارةُ بوش انتصارَين مرموقَين في الحقلَين الداخلي والخارَجي. إذ نجح اليميني المَتطرف سام أليتو في التغلّب على المعارضة الديمقراطية المتهافتة محققاً تسميته في المحكمة العليا. وبصورة مدهشة حقاً استطاعت الإدارة (الأمريكية) الحصولَ على تأييد روسيا والصين لتقديم إيران إلى مجلس الأمن، مع أن محمد البرادعي قال: «ليس من دليلٍ على برنامجٍ لأسلحة نووية». الاستسلام العجيب لروسيا والصين أجبرَ إيران على التخلي عن مسعاها إلى مزيد من المفاوضات، وهكذا انقطع الحوار الذي كان يمكن له أن ينزع فتيل الأزمة.

نجاح الإدارة الأمريكية هذا، أنهى الخداع الدبلوماسي، ممهداً الطريق إلى الحرب.

لا تأملُ الإدارةُ في تأمين الأصوات اللازمة، في مجلس الأمن، لفرض عقوبات أو القيام بعمل تأديبي. إلاّ أن الرحلة إلى مجلس الأمن خدعةٌ لازمةٌ لتأمين غطاءٍ دولي لعملٍ آخر من أعمال العدوان غيرِ المبرر.

لقد مضى الأمر بعيداً، وعلينا الآن التركيز على الكيفية التي تنتوي بها واشنطن تنفيذ خططها الحربية، ما دامت الحرب حتميةً كما يبدو.

أمّا اولئك الذين يشككون بإمكان قيام الولايات المتحدة بحرب ضد إيران، وهي المتورطة حتى الغرق في حرب العراق، فعليهم ألاّ يتناسوا خفايا استراتيجية الإدارة في الشرق الأوسط.

لا ينوي بوش احتلال إيران.

إن هدفه تدمير المواقع الرئيسة للأسلحة، وزعزعة النظام، واحتلال شريط طويل من الأرض بمحاذاة الحدود العراقية، يحتوي على 90% من ثروة إيران البترولية. الهدف النهائي لواشنطن هو إزاحة الملالي وتنصيب عملاء يسوسون الشعب ويتظاهرون بأنهم حكومة ذات صفة تمثيلية. لكن هذا يمكن أن ينتظر. على الإدارة الآن أن تمنع فتح «البورصة الإيرانية» في شهر آذار (مارس)، سوق البترول الحرة هذه التي ستجعل الناس يتخلّون عن الدولار، مقابل اليورو الذي ستعتمده البورصة المذكورة. الدولار الورقي لا قيمة فعلية له إلاّ بكونه أداة التعامل بالبترول.

بوش لن يسمح بذلك.

لقد تحولّ انتباه الإدارة إلى إقليمٍ صغيرٍ جنوبيّ غربيّ إيران، مجهول لدى غالبية الأميركيين. ومع هذا، فإن خوزستان ستكون الجبهة القادمة للحرب ضد الإرهاب. فإن استطاعت إدارة بوش الاندفاع في المنطقة (بدعوى نزع برامج الأسلحة النووية الإيرانية) والسيطرة على ثروة إيران البترولية الهائلة، فإن حلم احتكار بترول الشرق الأوسط سوف يتحقق.

لا غرابة في أن هذه كانت استراتيجية صدام حسين في الثمانينيات حين بدأ العمليات الحربية ضد إيران في حرب دامت ثماني سنين. صدام حسين، آنذاك، كان فتى الأمريكيين المدلل، فلا غرابة إنْ كان تلقّى الضوء الأخضر للاحتلال من ريغان.

عددٌ من موظفي ريغان يعملون الآن في إدارة بوش، وبخاصة رامسفيلد وتشيني.

خوزستان تمثل 90% من انتاج البترول الإيراني. السيطرة على هذه الحقول الهائلة سترغم الدول المعتمدة على البترول مثل الصين واليابان والهند على تكديس الورقة الخضراء بالرغم من الشكوك المحيطة بقيمتها. كما أن إلحاق خوزستان سيمنع إيران من افتتاح بورصتها. وهكذا سيحتفظ الدولار بوضعه المهيمن كعملة احتياط عالمية.

في مقالٍ أخيرٍ لزولتان غروسمان استشهادٌ بما أوردته صحيفة الديلي ستار اللبنانية التي تنبأت بأن «الخطوة الأولى لقوة احتلالٍ ستكون السيطرة على إقليم خوزستانَ الإيراني الغني بالبترول، وتأمين مضائق هرمز الحساسة، وقطع إمدادات البترول عن الجيش الإيراني، لإرغامه على الانكفاء إلى مخزونه الاحتياطي».

لقد أُطلقَ على هذه الاستراتيجية اسم «تحريكة خَوزستان» ـ اصطلاحٌ شطرنجيّ ـ، ونحن نتوقّع تنويعاً بعد القصف الجوي للمنشآت العسكرية الإيرانية ومواقع الأسلحة. فإن ردّت إيران، فهناك أكثر من سبب للاعتقاد بأن الولايات المتحدة أو اسرائيل ستردّ بأسلحة نووية لتدمير مواقع تحت الأرض. والواقع أن البنتاغون متلهف لاستخدام السلاح النووي رادعاً لخصوم محتمَلين، وحفاظاً على العديد الحالي للقوّات بدون اللجوء إلى التجنيد الإجباري.

في الثامن والعشرين من كانون الثاني (يناير) 2006 أعلن المسؤولون الإيرانيون أنه «تأكّدَ لديهم بالملموس تورّط البريطانيين في التفجيرات التي حدثت في مدينة الأهواز الجنوبية خلال الأسبوع»، هذه التفجيرات التي أدّت إلى مقتل ثمانية مدنيين، وجرح ستة وأربعين آخرين.

أهي مصادفةٌ؟

تشكيل مجلس إدارة هيئة أبوظبي للثقافة والتراث وإلغاء المجمع الثقافي ودائرة السياحة والآثار

ابوظبي ـ «القدس العربي» ـ من جمال المجايدة:

في خطوة تهدف الى تفعيل الحياة الثقافية في ابوظبي، تم تشكيل مجلس إدارة هيئة أبوظبي للثقافة والتراث بموجب مرسوم اميري اصدره الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان رئيس دولة الامارات.

وتحل هذه الهيئة بدلا من المجمع الثقافي الذي تأسس في ابوظبي قبل اكثر من 22 عاما، ودائرة السياحة والتراث والاثار في مدينة العين التي تأسست في مطلع الثمانينات.

ويترأس مجلس إدارة الهيئة الشيخ سلطان بن طحنون آل نهيان وتم تعيين زكي أنور زكي نسيبة نائبا للرئيس وسعيد بطي القبيسي وسعيد غانم حمودة وفراوكه هيرد ومبارك حمد المهيري ونجوم ناصر حسين الغانم وهدى ابراهيم الخميس كانو، اعضاء ومحمد خلف المزروعي مديراً عاماً للهيئة. وتقرر أن تكون مدة العضوية خمس سنوات قابلة للتجديد.وقد عقد مجلس إدارة هيئة أبوظبي للثقافة والتراث أول اجتماعاته برئاسة الشيخ سلطان بن طحنون تم خلاله التأكيد على الدور الفاعل الذي يمكن أن يلعبه تراث إمارة أبوظبي وثقافتها الغنية والمتنوعة في التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وتحسين حياة المواطنين وإلهامهم للمزيد من التمسك بهويتهم وتاريخهم العريق.

وكان الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان قد أصدر في 14 تشرين الاول (أكتوبر) 2005 القانون رقم (28) بإنشاء هيئة أبوظبي للثقافة والتراث.

وقد نص القانون على أن تنشأ هيئة عامة تسمى «هيئة أبوظبي للثقافة والتراث»، وتكون لها الشخصية الاعتبارية المستقلة، والأهلية الكاملة لممارسة نشاطها وتحقيق أهدافها، وتتمتع بالاستقلال المالي والإداري، لتعمل على تحقيق الرؤية الرامية إلى الحفاظ على تراث إمارة أبوظبي وهويتها المحلية وتنميتها، مع التأكيد على إشباع الاحتياجات والتوقعات الاقتصادية والاجتماعية والجمالية، وزيادة اعتداد المواطنين بهويتهم. كما تهدف الهيئة إلى رعاية النشاط الفكري والفني والحفاظ على التراث الثقافي لإمارة أبوظبي وحمايته وإدارته والترويج له.

«أسوار عكا» تتضامن مع الكاتب أنطوان شلحت

عكا ـ «القدس العربي» ـ من اسامة مصري:

بمبادرة من مؤسسة «الأسوار» أقيم يوم الثلاثاء 2006/2/7، الساعة السادسة مساء، في قاعة مؤسسة الاسوار في عكا القديمة، امسية خاصة تضامنا مع الكاتب والصحفي انطوان شلحت استنكاراً لأمر منع مغادرة البلاد الصادر ضده.

شارك في الأمسية التضامنية كل من: المحامي مروان دلال ـ عن جمعية «عدالة»، امير مخول ـ مدير اتحاد الجمعيات الاهلية العربية «اتجاه»، الدكتور جوني منصور، الشاعر رشدي الماضي، البروفيسور ديب عكاوي ـ رئيس مؤسسة «الاسوار» الثقافية. هذا وكانت مجموعة من الأدباء والكُتّاب الفلسطينيين في الداخل، قد عبرت عن استنكارهم الشديد لقرار وزير الداخلية في الحكومة الاسرائيلية منع الزميل الكاتب والاعلامي انطوان شلحت من مغادرة البلاد لعام كامل حتى 31 كانون الاول (ديسمبر) 2006 اعتمادا على قوانين وأنظمة الطوارئ المعمول بها في اسرائيل بالرغم عن صدورها في الفترة الانتدابية.

وجاء في بيان للمجموعة ان قرار المنع بذريعة ان الكاتب شلحت «يشكل خطرا امنيا على اسرائيل «هو قرار غاشم للغاية ويخفي من خلفه مقاصد مبيتة من قبل السلطات الاسرائيلية تجاه حرية التفكير والتعبير عن الرأي. ويشكل هذا القرار خطوة تشير إلى عودة هذه السلطات الى فترة الحكم العسكري السيئة والتي كانت تحول دون تحرك المواطنين العرب بحرية في مناطق سكناهم او انتقالهم الى مناطق اخرى في البلاد. وبالرغم من انتهاء الحكم العسكري الا ان هذا القرار اعاد الى الأذهان والذاكرة تلك الفترة وسيئاتها الكثيرة. واننا اذ نعلن شجبنا واستنكارنا الشديدين لهذا القرار نعلن عن وقوفنا الى جانب الزميل شلحت والى جانب كل المفكرين من ابناء شعبنا لنعبر عن وحدتنا واتحادنا الكاملين في رفض هذه السياسة القمعية والتضييقية، وأننا سنعمل مع كل الجهات الوطنية المعنية بالأمر في سبيل الغاء القرار والحيلولة دون تكرار مثله في المستقبل».

وأضاف البيان: «ان مفكرينا من كُتّاب وأدباء وشعراء واعلاميين يستحقون التقدير الكبير لما يقدمونه من غذاء فكري يعبرون من خلاله عن هموم ومشاغل وتفكير شعبنا الذي يمر في ظروف تاريخية صعبة وقاسية للغاية. وبناء عليه ندعو جميع الأدباء والكتاب الفلسطينيين في الداخل الى العمل معا من اجل مواجهة هذه الموجة من التضييقات والملاحقات».